

مقابلة

رضوان عقيل

رزق: مشكلتنا في الفساد السياسي
تجربة الإصلاح إنتهت مع شهاب

الحديث عن الاصلاح في الوزارات والادارات الرسمية لا يفارق ادبيات القوى السياسية والكتل النيابية، من باب ضرورة الحفاظ على مالية الدولة وتقديم الخدمات المطلوبة للمواطنين، من دون المرور في قنوات الفساد والرشى التي تستنزف المواطنين وتفرغ جيوبهم وتقضي على احلامهم



وزير العدل الاسبق الدكتور شارل رزق.

لا يستقيم ميزان العدل في البلد ويعمل بالشفافية المطلوبة، اذا استمرت التدخلات السياسية والمذهبية من هنا وهناك. تلك المعضلة التي يعانها هيكل المؤسسات في لبنان منذ حصوله على استقلاله في العام 1943 الى اليوم. يضيء وزير العدل الاسبق الدكتور شارل رزق لـ"الامن العام" على هذا الموضوع الحاضر على الدوام في يوميات المواطنين، ومناقشات مجلسي الوزراء والنواب لاجراء سلسلة من الاصلاحات والحد من هدر الانفاق المالي، الاخطبوط الفاسد الذي بات يهدد قدرة الدولة على تأمين رواتب الموظفين في القطاع العام، وانتظام سيرورة مؤسسات الدولة.

لا يزال رزق الذي خبر ولادة الادارات اللبنانية وبناء المؤسسات الرسمية منذ ستة عقود، يحن الى الرئيس فؤاد شهاب ويتباهى بالتجربة الاصلاحية التي صنعها وخلفها الراحل والتي انتهت معه. وان كان ما زال في الامكان تكرارها ما دامت تحققت وترجمت على الارض في اكثر من صرح. يضع كثيرون تلك التجربة في مرتبة الحلم في حال اتباعها في يومنا هذا. لا يؤمن رزق رئيس مؤسسة فؤاد شهاب بحكومات الوحدة الوطنية، ويصفها بـ"الهرطقات".

■ تسلمت وزارة العدل سابقا. كيف ترى الحديث عن عملية الاصلاح في القضاء والعدلية وبقية المؤسسات؟

□ عند الحديث عن الاصلاح اطرح سؤالاً لماذا الاكتفاء بالقضاء، لاسيما ان جسم الدولة كله يحتاج الى اصلاح. القضاء الى حد ما هو سلطة مستقلة عن باقي السلطات اضافة الى السلطتين التنفيذية والتشريعية.

هل الفساد محصور في السلطة القضائية ام انه يمتد الى السلطتين الاخيرتين؟ لماذا التركيز على القضاء. اذا كانت الهيئة التنفيذية فاسدة كما يبدو كيف سيكون القضاء صالحا او الفساد يعم جميع اجزاء الدولة أم لا؟ نسأل لماذا الهيجان والتركيز على القضاء، وانا اعرفه جيدا. صحيح ان فيه عيوباً لكنني لا اراها تفوق خطورة عيوب السلطة التنفيذية من رأس الهرم الى اسفله.

■ تقول كأن الفساد مستشر في الحكومة؟ □ الجواب عند عامة الناس الذين يرددون لماذا يحاسب الموظف ولا يحاسب الوزير. سمعنا اخيراً الحديث عن خفض رواتب الموظفين والمتقاعدين. هل من المنطق

الاقتطاع من راتب الموظف المحدود؟ يسأل المواطن عن المسؤول الذي سرق الملايين. المطلوب الوقوف عند آراء الناس وماذا يقولون. جواب البقال عن المسؤولين اهم من جوابي.

■ عاينت الجسم القضائي عن قرب. ما هي نقاط الضعف التي لمستها في هذا السلك؟ □ عندما كنت وزيراً للعدل طرأت التشكيلات القضائية. عملت بماذا يقول القانون. تبين ان لا صلاحية للوزير في هذه التشكيلات، بل يعود الامر الى قرار المجلس الاعلى للقضاء، وكان على رأسه في اثناء تولي هذه الوزارة انذاك القاضي النزيه انطوان خير. جلست معه وقلت له: هذه

صلاحيتك وانا لن اتدخل في هذا الموضوع لا من قريب ولا من بعيد. تحمل صلاحيتك وطبق القانون. تلقيت بعدها اتصالاً من مرجع كبير في الدولة سألتني: اين اصبحت في التشكيلات؟ اجبته ان هذه المهمة ليست من صلاحياتي. ظن انني جئت من المريخ وطلبت منه مراجعة القانون. هذا السؤال يختزل مشكلة القضاء. استغرب المرجع جوابي كوزير للعدل. اذا تدخلت في التعيينات اخالف القانون. اذا سمع وزير العدل من اي مسؤول او شخصية حيال التعيينات يكون الشخص المعني لا يصلح ان يكون وزيراً للعدل.

■ اصبح تطبيق القانون اليوم مسألة نادرة؟ □ الجواب ليس عندي.

■ ثمة قضاة يصرفون من السلك ويعودون الى منازلهم. هل تؤيد محاسبة القاضي المخالف الى النهاية؟ □ طبعاً شرط ان نبدأ بالمخالف الكبير الاول وبعده الثاني والثالث والرابع.

■ كيف ترى مسار العدلية بعد الطائف؟ □ العدلية ليست مستقلة عن الدولة. لن نشاهد القضاء نزيها في ظل دولة تقوم على الفساد، والكبير فيها قائم على هذا النحو. لماذا تطلب من القاضي القيام بالاصلاح. مع ان القاضي الفاسد يجب ان يضرب ويحاسب لتحسين الجسم القضائي والدولة. عندما يشاهد القاضي علامات الاستفهام على الكبار في الدولة ماذا سيفعل؟ الجواب هنا يعرفه المواطن العادي.

■ كيف رأيت تعاطي الحكومة بعد اقرارها الموازنة العامة الاخيرة؟ □ اتوقف عند مسألة كيف يمكن خفض الرواتب وماذا يعني ذوي الدخل المحدود. ماذا عن الذين سرقوا ملايين الدولارات؟ ما العمل بكل هؤلاء. من يحصل على رواتب عالية في لبنان يفكر بالذين يحصدون ارقاماً مالية خيالية نهاية كل شهر.

■ عايشت الادارات في لبنان منذ عهد الرئيس الراحل فؤاد شهاب الى اليوم. كيف ترى حالها بين الامس واليوم؟ □ في السابق كان البلد على اعلى مستوى يحلم به لبنان ايام الرئيس شهاب. اصبحت الادارة اليوم في ابشع مستوى عرفه البلد. في كل مكان اكون فيه لا اسمع من المواطنين الا طلب الرحمة على روح شهاب. الفرق بين الامس واليوم هو على مقدار الفرق بين الجنة والجحيم. كان رجل علم ولم يقدم على اي فعل او مشروع قبل ان يدرسه علمياً ويقوم بالاستشارات المطلوبة. صنع الرجل مؤسسات ولم يأت باشخاص يحبونه او يخصونه. اعطي مثلاً بسيطاً رأس مجلس الخدمة المدنية بعدما استوحاه شهاب من النظامين البريطاني والفرنسي. سأل خبراء واعادوا له خليطاً من النموذجين وطبقه في لبنان. عين على رأس هذا الجهاز قاض مشهود له بالنزاهة هو فريد الدحداح ولم يكن يعرفه، لم يكن مستزماً لاحد. بهذه الطريقة يتم بناء الادارات وتحسينها وليس على قاعدة اقالة شخص وتعيين آخر لانه يخلصنا.

■ كيف ترى عملية التعيينات في الادارة اليوم؟ □ عندما انشأ شهاب مجلس الخدمة المدنية كانت بهدف ضبط الادارة والموظفين. كان التعيين يبدأ من رئيس دائرة وما فوق ويخضعون لمباريات. نظمت اول مباراة في هذا المجلس وكنت مشرفاً انذاك على المعهد الوطني للادارة وانشأته في هذا

العهد. كنا نحتاج الى تعيين 30 شخصاً في هذه المباراة في العام 1961 لموقع رئيس دائرة في وزارات المال والداخلية واخرى. ثمة شروط تم وضعها انذاك. في تلك المباراة نجح 16 مسلماً و14 مسيحياً ولم تكن اي صعوبة على الصعيد الطائفي. انا مع اختيار الطوائف الافضل في صفوفها وعندها تكون الادارة مثالية. من ينجح لا ندخله الى الوزارة مباشرة بل يخضع الى المعهد الوطني للادارة ويتدرب على مدار سنتين وفق النظام الفرنسي وبعدها يتم ارساله الى وظيفته في الوزارات. جرى تعيينهم بسهولة بعد خضوعهم للتدريب، وبقيت على هذا النحو في مهمتي هذه الى العام 1967 الى ان توليت مسؤوليات اخرى. احضرتني شهاب من باريس للقيام بهذه المهمة.

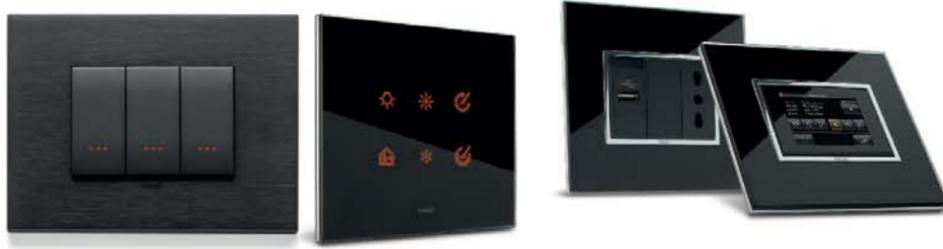
■ هذه التجربة الشفافة في تعيين الموظفين متى انتهت مع بدء الحرب ام مع بدء الطائف؟ □ انتهت هذ التجربة مع انتهاء عهد شهاب، ويجب ان لا نضحك على اللبنانيين. كان الرجل يتميز بالنزاهة والجدية والعلم.

الرئيس شارل حلو خرج عن هذه التجربة ولم يطبقها، لم يكن مؤمناً بالشهابية. كانت الادارة في ايام شهاب تضم 17 الف موظف. كانوا انذاك "معصورين" الى اخر درجة. طبقت تجربة شهاب على مدار ستة اعوام ولم تكن حلماً. عندما يكون على رأس الدولة من يريد ان يفعل تنتج.

■ هل ثمة قابلية لتجربة شهاب ان تعيش في ايامنا هذه؟ □ لماذا لا تتكرر اذا طبقت هذه التجربة. يقولون ان لبنان بلد لا تستقيم فيه الدولة لانه بلد طوائف، ويكون ولاء الفرد للطائفة وليس للدولة. بالتالي يتردد ان لا أمل في قيام الدولة في لبنان. انا لست مع هذا الحكم. قامت الدولة على ايام شهاب وكانت على احسن احوالها. ثمة كلام غبي عندما نسلم بالاستسلام. نجح عهد شهاب باعتراف الجميع. جاء الرئيس جمال عبد

التشكيلات القضائية
لا تعود الى وزير العدلالادارة اليوم في ابشع
مستوى عرفه البلد

EIKON



ARKÉ



PLANA



إذا وجد في القضاء والادارة فساد فهو نتيجة لفساد اكبر.

له. هذه المعارضة الشرسة خدمت العهد الشهابي. تسجل التحية لهذه المعارضة واولهم اده وشمعون وغيرهما من الاسماء. المطلوب ان تصبح الاقلية اكثرية على غرار ما حصل في عهد شهاب.

■ يفهم انك لست مع حكومات الوحدة الوطنية؟

□ انها هرطقات. لا تتلاقى والنظام البرلماني الا في الظروف الاستثنائية في الحرب العالمية الاولى، عندما اقدمت عليها فرنسا والفت حكومة في عهد كليمنصو وفي بريطانيا ايام ونستون تشرشل في الحرب العالمية الثانية. حكومة الوحدة الوطنية المزعومة عندنا تشكل اكبر ضرر للنظام السياسي. وهي تلغي المعارضة والرقابة على الحكم. عندما يوجد كل الاطراف في الحكومة تكسر المعارضة. مشكلتنا في لبنان ليست الفساد الاداري ولا الفساد القضائي على وجوده، بل مشكلتنا الفساد السياسي. اذا وجد في القضاء والادارة فهو نتيجة لفساد اكبر.

وكمال جنبلاط وصبري حمادة، وفي الجهة الثانية كميل شمعون وريمون اده وصائب سلام وكامل الاسعد وغيرهم. يمثل الطرفان الفسيفساء الطائفية. استطاع شهاب ان يوفق بين الثنائية البرلمانية وهي اساس النظام البرلماني وقيامه وبين التعددية الطائفية الموروثة من التاريخ اللبناني القديم ولا يزال. كانت ثمة حكومة ثابتة تستطيع ان تبني مؤسسات على غرار البنك المركزي والضمان الاجتماعي والى ما هناك. نريد اليوم مؤسسة واحدة من هذا النوع. كانت توجد معارضة تراقب وتبدأ سياسيا وحكومة تحكم.

■ رحلة الرئيس شهاب لم تكن معبدة بالورود؟

□ واجهته معارضة شرسة. كان ريمون اده يخيف عندما يتكلم في البرلمان. على الرغم انه كان ضد شهاب لكنه نفعه وخدمه. عندما يسمع اده ان وزيراً يسرق كان يتحدث مثل الفاجر، وكان يساعده غسان تويني في "النهار" التي كانت مكبر الصوت

◀ الناصر من القاهرة الى الحدود اللبنانية واجتمع به عند المصنع. ليطبقوا اليوم مثل هذا الفعل. كان مجيء عبد الناصر انتصاراً له وشكل دليلاً على اهميته وفهمه لطبيعة لبنان واعترافه بقسدية الحدود اللبنانية والاستقلال اللبناني، واكد شهاب افتتاح لبنان العربي لكن ضمن اطار ميثاق جامعة الدول العربية ومنطوقها. لو تم تطبيق هذا النموذج اليوم لاستقامت الامور في البلد.

■ هذا النموذج ذهب مع شهاب؟
□ انت صحافي وتعرف.

■ كيف ترى حال اداراتنا ووزاراتنا اليوم؟
□ عندما تكون الادارة فاسدة يعني ان السياسة فاسدة. اذا كان الجسم مصاباً بالفساد فحدث ولا حرج. كان الوضع مثالياً ايام شهاب لان النظام البرلماني كان مستقيماً من خلال وجود اكثرية تحكم واقلية، على ان تتمثل جميع الطوائف في الاكثرية. كنا نرى من جهة: بيار الجميل ورشيد كرامي